التمثلات الإنسانية في شعر العُجَير السَّلولي
" Human Representations in the Poetry of Al-Ujayr Al-Sululi "

أ.م.د محمد حسين محمود
قسم اللغة العربية. كلية الآداب. جامعة كركوك

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة التمثلات الإنسانية في شعر العُجَير السّلولي، وهو أحد الشعراء البارزين في العصر الأموي، والذي عبّر في نصوصه عن رؤى إنسانية عميقة تعكس قضايا أخلاقية، واجتماعية، وعاطفية. تمثل هذه الدراسة محاولة تأويلية تهدف إلى تحليل النصوص الشعرية لهذا الشاعر، للكشف عن الأبعاد الإنسانية في أعماله وربطها بالسياق الثقافي والاجتماعي لعصره.

ومن هنا، فإنّ هذا البحث يُشكّل محاولة لإعادة اكتشاف شعر العُجَير السَّلولي من زاوية جديدة، تُبرز القيم الإنسانية التي تجعل من نصوصه وثيقة أدبية وإنسانية تحمل معاني تتجاوز زمن كتابتها.

الكلمات المفتاحية:شعر، العُجير السلولي، التمثلات الإنسانية، الأبعاد الأخلاقية، الأدب الإسلامي

Abstract:

This research seeks to study the human representations in the poetry of Al-Ujayr Al-Sululi, one of the prominent poets of the Umayyad era, who expressed profound human visions in his texts that reflect moral, social, emotional, and existential issues. This study represents an interpretative attempt aimed at analyzing the poetic texts of this poet using an analytical approach to uncover the human dimensions in his works and connect them to the cultural and social context of his time.

Thus, this research constitutes an attempt to rediscover the poetry of Al-Ujayr Al-Sululi from a new perspective, highlighting the human values that make his texts a literary and human document carrying meanings that transcend the time of their composition.

Keywords: Al-Ujayr Al-Sululi, human representations, moral dimensions, Islamic literature, Umayyad era

المقدمة

تُعدُّ التجربة الشعرية إحدى أعمق الوسائل التي عبَّر الإنسان من خلالها عن قضاياه الوجودية ومشاعره الإنسانية على مرِّ العصور. ومن بين الشعراء الذين تركوا بصمات واضحة في هذا المجال، يبرز العُجَير السَّلولي، وهو شاعر عاش في فترة شهدت تحولات اجتماعية وثقافية كبرى. وقد تجلّت في شعره صورة إنسانية عميقة تُعبِّر عن القيم الأخلاقية، والتجارب العاطفية والمعاناة الفردية والجماعية، ممّا جعله أحد رموز الشعر العربي الذي تجاوز زمانه ومكانه.

في هذا البحث، ننطلق من التساؤل حول كيفية تعبير العُجَير السَّلولي عن التمثلات الإنسانية في شعره، وكيف استطاع أن يربط بين تجاربه الفردية وتجارب مجتمعه ضمن سياق زمني مضطرب. فمن المعروف أنّ الشعر العربي القديم لم يكن مجرد وسيلة للتعبير الجمالي، بل كان أيضاً أداة لنقل القيم الاجتماعية ورؤية الإنسان للعالم من حوله. ومن هنا تأتي أهمية دراسة شعر العُجَير السَّلولي، إذ يُقدِّم لنا فرصة لفهم كيف تعامل هذا الشاعر مع القضايا الإنسانية الكبرى مثل الحبّ، والوفاء، والشجاعة، والفقد.

تُبرز الدراسة أهمية التمثلات الإنسانية في شعر العُجَير السَّلولي من خلال تسليط الضوء على الأبعاد العاطفية، والأخلاقية، والاجتماعية، والوجودية التي تتجلّى في نصوصه. ففي الجانب العاطفي، نجد أنّ الشاعر عبّر عن الحبّ، والفقد، والحزن بطريقة تلامس مشاعر الإنسان عبر العصور. أمّا في الجانب الأخلاقي، فقد ركّز على قيم الوفاء، والشجاعة، والكرم، وهي قيم كانت تمثل أساس الحياة البدوية. وفي الجانب الاجتماعي، نجد أنّ شعره يُعبّر عن قضايا مثل العدالة والتضامن.

حياته وشعره:

هو "عمير بن عبدالله بن عبيدة بن كعب بن سلول من بني مرّة، وبنو مرّة يعرفون ببني سلول. وكنيته أبو الفَرزدق، شاعر مُقلّ من شعراء الدولة الأموية، من المُحسنين الكرماء الأجواد." (الأصفهاني ا.، 1956، صفحة 58) و"العُجَير لقب له، وهو مصغر عجر من قولهم: عجر عنقه إذا لواها." (البغدادي، 1986، صفحة 298) كما عدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام. (الجمحي، 1980، صفحة 231) . والشاعر العُجَير يتميز بملامح إنسانية واضحة في شعره، قلما نجدها عند معاصريه؛ فهو لا ينجرف وراء تيارات الهجاء والمديح السائدة آنذاك، كما أنّه لم يرتبط بأيّ حزب سياسي من تلك التي ظهرت في العصر الأموي. ينظر العُجَير إلى الحياة بعينٍ شخصية وفريدة، تعكس صدق عاطفته وجديّة تعبيره.

ويمكن القول إنَّ العُجَير اتخذ لنفسه منهجاً شعرياً مغايراً لما اعتاد عليه شعراء عصره، الذين غرقوا في التكسّب عبر المديح أو الهجاء تماشياً مع رغبات الخلفاء أو سعياً وراء المال والجاه. أمّا العُجَير، فقد اتسم شعره بنزعة واقعية، رغم ميله أحياناً إلى مدح نفسه بعباراتٍ قد تتجاوز حدود المعقول، وهو أمر طبيعي في الإنسان عندما يدرك مواهبه وشجاعته ويعرف الناس عنه الكرم، والمروءة، وإكرام الضيف.

ومن خلال قراءة شعره، يظهر بجلاء الجانب الإنساني الذي يتناول فيه ما يعانيه المجتمع، لاسيما معاناة الفقراء والمحتاجين. أمّا عن حياته الخاصة، فقد عُرف بحبّه لامرأة من بني عامر تدعى (جُمْل)، وقد أثّر رحيلها عليه بشدّة، إذ بقي شغوفاً بها. توفي العُجَير في عام 90 للهجرة، وجمع شعره وحققه الأستاذ محمد نايف الدليمي، ونُشر ذلك في العدد الأول من مجلة المورد الصادرة في الأول من فبراير 1979.

المبحث الأول: الأبعاد الأخلاقية

في تراثنا الأدبي عرف الجاحظ (ت 255هـ) الأخلاق بقوله: "الخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلاّ بالرياضة والاجتهاد كالسخاء يوجد في كثير من الناس من غير رياضة، وكالشجاعة، والحلم، والعفة، والعدل وغير ذلك من الأفعال المحمودة" (الجاحظ، 1989، صفحة 12)

ويتسم شعر العُجَير السّلولي بأبعاد أخلاقية بارزة تُظهر اهتمامه بالقيم الإنسانية والفضائل. فهو يعكس صدق العاطفة والإحساس بالآخرين، إذ يتناول قضايا الفقراء والمحتاجين بنبرة تنم عن تعاطف وإحساس بالمسؤولية. كما يظهر في شعره تقديرٌ للقيم العربية الأصيلة مثل الكرم، والمروءة، والشجاعة، التي كان يُبرزها في وصف ذاته وأفعاله. وذلك لأنّ العرب "احتاجت إلى الغناء بمكارم اخلاقها، وطيب اعراقها، وذكر ايامها الصالحة" (القيرواني، 1955، صفحة 20)

وبالرغم من ميله أحياناً إلى مدح نفسه، فإنّ هذا المدح ينبع من شعور صادق بقدراته وشجاعته، ممّا يجعله بعيداً عن التصنع أو المبالغة المعتادة في شعر عصره. تميز العُجَير أيضاً بواقعية طرحه، إذ ابتعد عن المديح السياسي والتكسّب، مفضلاً التركيز على القيم الأخلاقية التي جعلت من شعره شاهداً على نزاهة شخصيته وسلامة منظوره الأخلاقي. كما أنّ "هذه القيم أصبحت من ركائز عاداتهم وتقاليهم واعرافهم، التي نشأوا وترعرعوا فيها" (محجوب، 2022، صفحة 23)

- **الجود والكرم:**

ذكر أبو الفرج "أنّ العُجَير اسرع في ماله فاتلفه، وكان جواداً." (الأصفهاني ع.، 1956، صفحة 66) فـ "الشاعر يضع القيم، والمبادئ، والأخلاق في مُقدّمة اهتماماته" (يوسف، 2001، صفحة 37) كما تميّز شاعرنا "بجوده، وكرمه، وباقي اخلاقه الكريمة التي تتمثّل في جميع قيم النبل الحقيقي، والتي مسّت جميع المحتاجين والفقراء" (بوحالة، 2020، صفحة 127) فـ "للجانب الأخلاقي دور مهم في حياة الإنسان، إذ ترسم اخلاقه معالم شخصيته، وتضبط سلوكه ومواقفه." (علي، 2021، صفحة 49) وهذا ما نراه بوضوح في شعر العُجَير السّلولي

فـ "الكرم خلق للنفس أمّا إكرام هذا الضّيف أو ذاك فهو سلوك، والفرق هو أنّ الكرم صفة راسخة في النّفس؛ أمّا سلوك مسلك الكريم، فهو فعل صادر عن تلك الصّفة" (الجابر، 2001، صفحة 33) كما أنّ "الكرم قيمة أخلاقية متوارثة، ومن ابرز الصفات الحميدة عند العرب، فالكريم عندهم يمتاز بكرم اخلاقه قبل أن يكون كريم اليد والقلب، فهو من الموضوعات التي تغنى بها الشعراء وحثّوا عليها" (لبز، 2023، صفحة 92)

وكأنّ مبدأ الشاعر العُجَير السّلولي في الحياة هو مقولة: " خيرُ المال عين ساهرة لعين نائمة " (ربه، 1983، صفحة 45) وهذا ليس بغريب فلقد " انجبت هذه البيئة رجالاً كانوا قمّة في الإنسانيّة، ورهافة الحسّ، وحسن الخلق " (مفقودة، 2001، صفحة 184) أمّا الجود فهو " سعة العطاء ومنه سمي المطر الغزير الواسع جوداً سواء كان عن طيب نفس أو لا " . (العسكري، د. ت، صفحة 175)

فالكرم والجود يشكلان جانباً مهماً في شعر العُجَير السَّلولي، إذ يظهر اعتزازه الكبير بكرمه وإكرامه للضيف، وهو ما يعكس أحد أبرز القيم الأخلاقية في المجتمع العربي. كان العُجَير يتباهى بسخائه، ويعبر عن ذلك في أبياته بنبرة واثقة وصادقة، تنطلق من إيمانه العميق بفضيلة العطاء. فشاعرنا يعكس في شعره الواقع المرير لمجتمع يعاني فيه الفقير من شظف العيش، فهو يأنف أن ينعم بالطعام والترف بينما يبيت جاره جائعاً يعاني قسوة الحرمان. إنّ الحياة ليست مجرد طعام ولباس، بل هي قيم النبل والمروءة، وأخلاق الشهامة والحمية التي ترفع من قدر الإنسان في مجتمعه. لذا، نجده قال: (الدليمي، 1979، صفحة 212)

وَمَا لَبِسَ النَّاسُ من حُلَّة جَديدٍ ولا خَلَقاً يُرْتَدى
كمثلِ المروءَةِ للاَبسين فَدَعني مِنَ المُطْرَفِ المُستَدى
فَلَيْسَ يُغَيِّرُ فَضْلَ الكريمِ خلوقَةُ أثوابِهِ والبِلى
وَلَيْسَ يُغَيِّرُ طبعَ اللئيمِ مطارِفُ خَزٍّ دِقاقُ السَّدى
يجودُ الكريمُ على كلِّ حالٍ وَيَكبو اللئيمُ إذا ما جرى

الأبيات هنا تصور الفرق الجوهري بين الإنسان الكريم واللئيم، مؤكدًا شاعرنا أنّ الأخلاق هي الجوهر الحقيقي للإنسان، وليس المظاهر المادية كاللباس أو الزينة. والنص يعكس منظومة ثقافية تعلي من شأن المروءة والكرم، وتستهجن الانشغال بالمظاهر الزائفة. أمّا الصورة الشعرية في النص تمزج بين المادي والمعنوي، إذ يستعمل الشاعر اللباس كرمز للمظاهر الزائفة، مقابل الأخلاق التي تمثل الجوهر الحقيقي. وتصوير الكرم كفيض دائم واللؤم كتعثر، يعكس رؤية الشاعر للإنسان النبيل بأنّه يتجاوز العقبات، بينما يسقط الدنيء في أول اختبار.

لذا فإنّ النص عبر عن رؤية فلسفية تُعلي من شأن الأخلاق على المظاهر. والصور البلاغية خدمت المعنى بفعالية، لاسيما في التشبيه والتضاد، ممّا جعل الرسالة واضحة ومؤثرة. فالشاعر يضع الأخلاق كأساس حقيقي لتقييم الإنسان، ويؤكد أنّ الكرم والمروءة هما الجوهرة الحقيقية التي تميز الإنسان النبيل.

كما ظهرت في صوره الشعرية صور الاعتداد النفسي، وعلى رأسها صورة الكرم، والإيثار داخل إطار " إبداع هؤلاء الشعراء المضموني والفكري فيها، بما عبر عنه معظم شعراء العصر " (كامل د.، 2016، صفحة 310) إذ يُعدّ الندى (الكرم) والفضل (الإحسان والمروءة) من المبادئ الأساسية التي تحدد مكانة الفرد داخل المجتمع. هذه القيم تُستخدم كمعايير لتقييم الأشخاص ومواقفهم، ممّا يعكس هيمنة الثقافة القبلية التي تربط الشرف والعظمة بالمكارم الأخلاقية. قال الشاعر العُجَير السلولي: (الدليمي، 1979، صفحة 232)

إنَّ النَّدى والفَضْلَ غايَتُنا وَنَجاتُنا وَطريقُ مَنْ يحمي

وهنا يعكس البيت رؤية ثقافية ترى أنّ الكرم والإحسان ليسا مجرد سلوك فردي، بل آلية لضمان النجاة الاجتماعية والمكانة المحترمة. كما يتجلى مفهوم "الحماية" هنا كبعد اجتماعي يعكس فكرة أنّ من يلتزم بهذه القيم يضمن الأمن والاستقرار، ممّا يعكس تأثر الفكر الأخلاقي العربي بفكرة العطاء مقابل الولاء. ويشير إلى سُلطة الأعراف الاجتماعية التي تحكم أفعال الأفراد، إذ إنّ التفوق لا يُقاس بالقوة فقط، بل بالقدرة على العطاء والتسامح.

- **العدالة والتضامن الاجتماعي:**

نجد ذلك جلياً في شعر شاعرنا بعد أن اتخذ مساحة واسعة من ذلك المرتكز من خلال "علاقته بفهم الآخر وفهم حالته النفسية وظروفه الاجتماعية التي استدعت الشفقة عليه" (البياتي، 2024، صفحة 1) لأنَّ تجربة الشاعر هي "تجربة شعرية ناضجة وعميقة تستدعي الانطلاق نحو الفضاء الشعري الرحب، وتستوعب جدل مناقشة الأفكار" (حسين، 2022، صفحة 22) كما نجد أنّ الشاعر انتهج أسلوب "الحكاية الذاتية ودوره في احتضان دلالة الألم ونقل أثرها إلى المُتلقي" (الجزيري، 2022، صفحة 1) وفي شعر الشاعر العُجَير "صور الاعتداد النفسي وفي مقدّمتها الكرم والإيثار، وهو يأخذ أعمق بُعد من أبعاد شموخه وتعاليه" (كامل د.، 2016، صفحة 310)

وقد ذكر أبو الفرج "أنّ العُجَير اسرع في ماله فأتلفه، وكان جواداً، ثم جعل يدان حتّى أُثقل بالدين، ومدّ يده إلى ما فيه يد امراته من مال، فمنعته وعاتبته" (الأصفهاني ا.، 1956، صفحة 66) فقال في ذلك: (الدليمي، 1979، الصفحات 222 - 223)

تقولُ وَقَدْ غالبتُها أُمُّ خالدٍ ... على مالِها أُغرِقت دَيْناً فأقْصِرِ
أبى القَصْرَ مَنْ يأوي إذا الليل جنَّني ... إلى ضوءِ ناري من فَقيرٍ وَمُقْتِرِ
أَيا مُوقِدَي ناري ارفَعاها لعلَّها ... تَشُبُّ لِمُقْوٍ آخِرَ الليلِ مُقْفِرِ

تعكس الأبيات قيمة الكرم العربي المتأصلة، حيث يظهر الشاعر في موقف يجسد الإيثار رغم الضيق، إذ يُنفق على الضيوف رغم الديون، ما يعكس منظومة اجتماعية تشجّع على العطاء حتّى في الظروف القاسية. هذا التصرف هو جزء من الثقافة القبلية التي ترى الكرم أساس الشرف والوجاهة، حيث يصبح إيقاد النار رمزًا لاستقبال المحتاجين والضيوف في الصحراء.

كما تتضمن الأبيات بنية سردية واضحة، حيث تبدأ بموقف وحوار بين الشاعر وزوجته، ثم يتطور المشهد ليبرز التزام الشاعر بالقيم القبلية، وينتهي بصورة درامية رمزية وهي رفع النار لإرشاد الضالين في الليل. هذا يعكس نموذجاً للحكاية الشعبية في الشعر الجاهلي، حيث تتحرك الأحداث عبر حوار، وصراع، ثم فعل يحسم الموقف. كما تحمل الأبيات عنصر الحكاية من خلال صراع درامي بين العقلانية والعاطفة، كما تستخدم رمزية النار لإبراز معنى التضامن الاجتماعي العفوي.

وللجانب الأخلاقي "دورٌ مهمٌ في حياة الإنسان، إذ ترسم أخلاقه معالم شخصيته، وتضبط سلوكه ومواقفه" (إقبال و علي، 2021، صفحة 49) كما يجري الشاعر العُجَير محاورة لطيفة مع امرأته، إذ يقول لها وفي نفسه شيء من أسى وعتاب: (الدليمي، 1979، صفحة 223)

سلِي الطارقَ المُعْتَرَّ يا أُمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بينَ قِدري وَمجزِري
أَأَبسُطُ وَجهي إِنَّهُ أَوَّلُ القِرى وأَبذُلُ مَعْروفي لَهُ دونَ مُنكَرِي
فلا قَصْرَ حتَّى يفرجَ الغيثَ من أَوى إلى جَنْبِ رَحلي كلُّ أَشْعَثَ أَغْبَرِ
أَقي العِرضَ بالمالِ التلادِ وما عسى أَخوكَ إذا ما ضَيَّعَ العِرضَ يَشْتَري
يؤدي إليَّ النَّيْلَ قِنْيانَ ماجدٍ كريمٍ وَمَالي سارحاً مالُ مُقْتِر

يعكس النص سلطة القيم الثقافية التي تجعل من الكرم معياراً أخلاقياً للرجولة والمروءة، فالشاعر لا يكتفي بعرض فضيلته الشخصية؛ بل يرسخ ثقافة اجتماعية ترى في إكرام الضيف وحماية العرض بالمال أمراً لا جدال فيه، ممّا يعكس بُنية ثقافية تؤسس للفخر الجماعي وليس للفردي فقط.

كما يؤكد الشاعر على أهمية التضامن الاجتماعي، إذ يصبح الكرم شكلاً من أشكال التأمين الاجتماعي، فالتشارك في المال والطعام ليس مجرد عادة؛ بل ضرورة لضمان بقاء المجتمع في بيئة قاسية. كما أنَّ حماية العرض بالمال تعكس ارتباط الشرف بالقوة الاقتصادية، ممّا يكشف عن بُنية ثقافية تربط المكانة الاجتماعية بالقدرة على العطاء.

في حين يمجد الشاعر الجود، فإنّه ضمنياً ينتقد من لا يتبع هذه القيم، ما يعكس التوتر الثقافي بين المُثل العليا والواقع. ويُبرز الشاعر مركزية المضيف الكريم مقابل هامشية الضيف المحتاج "أشعث أغبر" لكنّه لا يحتقره؛ بل يجعله مستحقاً للإكرام. وهنا يتحول الهامش إلى عنصر فعال في تشكيل هوية المركز، إذ لا يكون الكريم كريماً إلاّ بوجود محتاج لكرمه، ممّا يعكس جدلية القوة والضعف في الثقافة القبلية.

ويؤسس الشاعر في شعره لمفهوم العدالة في الضيافة، ويرفض التمييز بين الضيوف؛ ليعكس لنا تصوراً ثقافياً يُعلي من قيمة المساواة الاجتماعية في العلاقات القبلية، قال العُجَير أيضاً: (الدليمي، 1979، صفحة 215)

ولا تجعلي ضَيْفيَّ ضَيْفَ مُقَرَّبٍ وآخرَ مَعْزولٍ عن البَيْتِ جَانب

هنا يتجاوز البيت كونه مجرد توجيه أخلاقي، ليكشف عن صراع خفي بين القيم والممارسات الفعلية، ممّا يجعل الضيافة ميداناً للصراع الاجتماعي أكثر منها مجرّد عادة كريمة. ويلمح البيت إلى أنَّ الضيافة احياناً أداة لفرض النفوذ.

كما يقّدم البيت رؤية نقدية لآليات التمييز الاجتماعي داخل بُنية الضيافة، ويتحول النص من كونه تعبيراً عن الأخلاق الفردية إلى خطاب ثقافي يُعيد مسألة بُنية السلطة والتفاضل داخل المجتمع.

ويُخفي البيت نقداً لظاهرة المُحاباة الطبقية أو القبلية؛ فالشاعر يرفض أن يكون هناك ضيف مقرب يُحظى بالعناية، وآخر معزول على الهامش، ممّا يعكس موقفاً معارضاً للتمييز القائم على الامتيازات الشخصية.

ويتجلى في البيت مفهوم المركز والهامش بوضوح؛ إذ يُمثل الضيف المقرب مركز السلطة الاجتماعية، بينما يدفع الآخر إلى الهامش، ممّا يعكس بُنية ثقافية تفرز الأفراد وفقاً لمكانتهم. رفض الشاعر لهذا التصنيف يعني سعيه إلى إعادة توزيع المكانة داخل المجتمع، إذ يُعامل الجميع وفق معيار أخلاقي موحد، لا وفق الاعتبارات النفعية.

فضلاً عن ذلك قد يلعب نسق الضيافة كمعيار اجتماعي ضاغط، وهذا النسق يُمثل سلطة العرف الاجتماعي؛ إذ لا يُقبل التخاذل في الضيافة، كما في قول الشاعر العُجَير: (الدليمي، 1979، صفحة 232)

مِنَ المُهْدياتِ الماءَ بالماءِ بعدما رَمَى بالمُقاري كلُّ قارٍ ومعتِمِ

الخطاب يُمجد الكرم؛ لكنّه في الوقت ذاته يُبرز إشكالية إجبار الجميع على الالتزام به بغض النظر عن قدرتهم. فهناك تناقض بين القيم الظاهرة (الضيافة) والقيم المضمرة (الضغط الاجتماعي والتفاوت الطبقي والجندري) ممّا يجعل النص فضاءً لكشف بُنى اجتماعية متجذرة أكثر من كونه مجرد وصف لمشهد ضيافة.

كما يكشف هذا البيت عن نسق ثقافي يحدد أدوار المرأة ضمن إطار خدمي، إذ لا تكون صاحبة القرار في الكرم؛ بل مجرد منفذة لمهمة الضيافة وفق معايير المجتمع الذكوري. والضيافة هنا ليست خياراً؛ بل واجب اجتماعي يفرضه العرف حتّى على المترددين (المعتِم). وهذا ما يعكس ضغط المجتمع في فرض القيم القبلية حتّى على غير القادرين. وهذا ما يؤكد أنَّ "الفقر أحد الأسباب الأساسية التي يهمش بسببها الإنسان، وإذ ارتبط التهميش بالزمان والمكان، فإنّه يرتبط كذلك بالواقع الاقتصادي" (محمد، 2020، صفحة 45)

- **المبحث الثاني: الأبعاد العاطفية**

عُرف العُجَير السّلولي بشعره الذي يعكس أبعاداً عاطفية متعددة، على نحو ما أشار له الباحث محمد نايف الدليمي إلى أنَّ شعره "تميز بتعبيره عن مشاعر الحنين واللوعة، لاسيما في سياق الغزل والرثاء، كما ذكرت الأخبار أنّه أحبّ امرأة من بني عامر يُقال لها (جُمْل) ثم ارتحل أهلوها فشغف بها." (الدليمي، 1979، صفحة 210) وقد ذكرها في قصيدتي سنقف عندها لاحقاً كما ذكر غيرها أيضاً.

· الحبّ:

عاطفة الحبّ هي "عاطفة متأصلة في كافة الثقافات، وقد طرق الشعراء هذه المعاني السامية، أملاً في بناء الترابط الاجتماعي السليم." (عبد، 2009، صفحة 387) واغراض الشاعر الغالب عليها النسيب، في لوحة تصوير المعشوقة (جُمْل) ليشكل تصويراً حركياً قائماً و "ربط الدلالة المنبثقة منه بمشاعر مكثفة، ليجعل منه محاولاً موضوعياً لذاته، وبُنية فنية صالحة وصادقة." (الحمداني، 2018، صفحة 1)

فكانت "المشاعر المنبثقة هي علاقة وسمة وبوتقة خاصة في شعر الشاعر اضفى فيها كلّ ما يتعلق أمامه من انبهار جمالي ترجمه على شعره بصورة متمايزة على نحو موضوعي وفنّي." (الياس، 2022، صفحة 3) لذا نجد تنوع التجربة العاطفية في شعر العُجَير السّلولي، ممّا يجعله مرآة تعكس مشاعر الإنسان في مختلف حالاته، قال العُجَير: (الدليمي ، 1979، الصفحات 212 - 213)

عَفَا يافِعٌ مِن أَهلِهِ فَطَلوبُ ... وأَقفَرَ لو كانَ الفؤادُ يثوبُ
وَقَفْتُ بِها من بَعْدِ ما حَلَّ أَهلُها ... نَصيبينَ والرَّاقي الدُّموعَ طبيبُ
وقد لاحَ معروفُ القَتيرِ وَقَد بَدت ... بِكَ اليومَ منْ رَيْبِ الزَّمانِ نُدوبُ
لقد أحسَنتْ جُمْلٌ لوْ أنَّ تَبيعَها ... إذا ما أرادَتْ أنْ نُثيبَ يَثيبُ
تَصْدَّينَ حتَّى يَذْهَبَ اليأسُ بالمنى ... وحتَّى تَكادَ النَّفْسُ عَنْكِ تَطيبُ
وأَنتِ المُنى لو كُنْتِ تَسْتَأنِفينَنَا ... بخيرٍ ولكن مُعْتَفاكِ جَديبُ

هذه الأبيات تكشف عن أنساق ثقافية متعددة منها: نسق الحنين والمكان الذي تغير بعد رحيل أهله، وهو نمط ثقافي متكرر في الشعر العربي القديم، إذ يشكل المكان جزءاً من الهوية والانتماء. وهنا يبرز البُعد الثقافي لمفهوم الديار الخالية كأثر للحضور والغياب، وهو نسق يعكس موقف الإنسان العربي من التحولات الزمنية.

والإشارة في البيت الثالث إلى "ريب الزمان" و "الندوب" تكشف عن وعي ثقافي يرى الزمن قوة قاهرة تترك آثارها على الأفراد والأماكن. كما نجد في البيت الخامس والسادس هناك نسق ثقافي مرتبط بالصورة التقليدية للمرأة، فهي المُنى؛ لكنّها لا تمنح نفسها بسهولة؛ بل تتطلب المُطاولة والمجاهدة، وهو تصوير ثقافي يعكس صورة المرأة في المخيال العربي القديم بأنّها موضع اختبار وصبر.

والتناقض بين الأمل واليأس في هذا السياق يرمز إلى جدلية الوصل والفصل التي تهيمن على الخطاب العاطفي في الثقافة العربية. لذا نجد أنّ الأبيات تعبر عن الحنين العاطفي والاغتراب، إذ يتلاشى المكان وتبقى الذكريات، ممّا يعكس شعور الشاعر بالضياع.

فالعلاقة مع المحبوبة تتأرجح بين الأمل وخيبة الرجاء، ممّا يُضفي على النّص بُعداً وجدانياً حزيناً، لاسيما في البيت الأخير الذي يحمل خيبة التوقعات في استئناف العلاقة، وهو شعور بالعجز أمام تحولات الزمن والقدر، وهذا ما يُضفي على النّص نزعة تأملية مُتشائمة، إذ يبرز الحزن العميق تجاه التغيرات التي لا يمكن إيقافها.

هاتيكَ جُمْلٌ بأرضٍ لا يُقَرِّ إلاَّ هِبَلٌ مِنَ العِيدِيِّ مُعْتَقَدُ
وَدونُها مَعْشَرٌ خُزْرٌ عُيونُهُمُ لو تَخْمُدُ النارُ من حرٍّ لما خَمَدوا
عَدّوا عَلَينا ذُنوباً في زيارَتها لِيَحجبوها وَفي أخلاقِهِمْ نَكَدُ
فَلَيسَ إلاَّ عويلٌ كلَّما ذُكِرَتْ أو زَفرَةٌ طالما أتَت بها الكَبِدُ
وَتَيَّمَتْنِيَ جُمْلٌ فاستَمَرَّ بها شحطٌ مِنَ الدَّارِ لا أمٌّ ولا صَدَدُ
قالوا غَداةَ استقلَّتْ ما لمقلَتِهِ أمِنْ قَذىً هَمَلَتْ أمْ عارِها رَمَدُ
فَقُلتُ لا بَلْ غَدَتْ سلمى لِطيَّتها فليتَهُمْ مثلَ وجدي بُكْرَةً وُجِدوا
أَزمانَ تُعجِبُني جُمْلٌ وأكتُمُه جُمْلاً حياءً وما وَجْدٌ كما أَجِدُ
فَقَدْ بَرِئْتُ على أَنّي إذا ذُكرتْ ينهَلُّ دَمْعِيْ وَتَحيا غُصَّةٌ تَلِدُ
من عَهْدِ سلمى التي هامَ الفؤادُ بها أزمانَ أَزمان سَلْمَى طَفْلَةٌ رُؤَد

في هذه الأبيات الشعرية نجد عدّة انساق مضمرة، بعضها متوارث من الثقافة العربية القديمة، وبعضها يعكس صراعات القيم بين الفرد والمجتمع. فهناك نسق مضمر وهو: سلطة القبيلة في فرض القيم والأعراف في قوله: " عَدّوا عَلَينا ذُنوباً في زيارَتها . . لِيَحجبوها وَفي أخلاقِهِمْ نَكَدُ" فالشاعر يكشف عن نسق قبلي يُقيّد حرية اللقاء بالمحبوبة، إذ يعدّ المجتمع زيارته ذنباً، بينما يرى هو أنَّ أخلاقهم قاسية وجافة. وهذا يعكس منظومة اجتماعية تهيمن على العلاقات العاطفية، إذ يُنظر إلى الحُبّ في الإطار القبلي على أنّه خطر يهدد الاستقرار.

كذلك هناك نسق ذكوري وهيمنة الرجل في الحُبّ والفراق، فالرجل هو المتحكم بالمشاعر، بينما المرأة مُغيَّبة في قوله: " وَتَيَّمَتْنِيَ جُمْلٌ فاستَمَرَّ بها . . شحطٌ مِنَ الدَّارِ لا أمٌّ ولا صَدَدُ" فهنا يظهر نسق مُضمر يعكس التصوير التقليدي للحبّ في الثقافة العربية القديمة، فالمرأة لا صوت لها في النّص؛ بل هي مصدر الفتنة والعذاب، في حين أنَّ الرجل هو المتألم والمتذكر للفراق.

ونجد النسق المُضمر في: الحبّ كقدر لا يمكن تغييره في قوله: " فَقُلتُ لا بَلْ غَدَتْ سلمى لِطيَّتها . . فليتَهُمْ مثلَ وجدي بُكْرَةً وُجِدوا" إذ يُوحي النّص بأنّ الحبّ خارج عن الإرادة، وكأنَّ الفراق مكتوب مُسبقاً، وهو ما يعكس النسق القدري الذي كان راسخاً في الثقافة العربية.
والنسق الآخر المُضمر في: الحبّ العذري كقيمة مثالية في قوله: أَزمانَ تُعجِبُني جُمْلٌ وأكتُمُه . . جُمْلاً حياءً وما وَجْدٌ كما أَجِدُ" هنا يخضع الحبّ للحياء الاجتماعي، وهو ما ينسجم مع النسق العذري في الثقافة العربية، إذ يتم تمجيد الحبّ المكتوم كدليل على النقاء والوفاء. هذا النسق يُرسخ فكرة أنّ الشاعر لا يستطيع الإفصاح عن حبّه علناً، ممّا يعكس قيود الثقافة الذكورية التي تضع العواطف في إطار الضوابط الاجتماعية الصارمة.

والنسق الأخير المُضمر هو: الحبّ المُقترن بالحزن وليس بالسعادة في قوله: " فَقَدْ بَرِئْتُ على أَنّي إذا ذُكرتْ . . ينهَلُّ دَمْعِيْ وَتَحيا غُصَّةٌ تَلِدُ" وهو نسق مأسوي للحبّ كمعاناة دائمة، فالشاعر يجعل الحبّ مرتبطاً بالحزن والألم المستمر، ممّا يعكس نسقاً ثقافياً يرى أنّ الحبّ الحقيقي هو الذي يقترن بالفراق والحرمان، لا بالسعادة واللقاء. هذا يُعيد إنتاج فكرة العذاب في الحبّ التي اشتهرت بها القصيدة العربية التقليدية.

- **الفقد:**

تتجلى الأبعاد العاطفية في شعر العُجير السّلولي عبر تمثيلها لصراع الذات مع قيود المجتمع، إذ تتقاطع العاطفة مع السلطة القبلية التي تحكم المصائر، فحين زُوّجَت أبنة عمّه لرجل من بني عامر، لم يكن مجرد فقدٍ شخصي؛ بل امتداد لصراع أوسع بين الرغبة الفردية والتقاليد القبلية، في هذا السياق يصبح شعره فضاءً للشكوى والاحتجاج المستتر، إذ يتردد صدى الفقد العاطفي بوصفه خسارة مزدوجة: للحبيبة والحق في الاختيار. وبهذا تتجاوز تجربته حدود الغزل التقليدي لتصبح خطاباً ثقافياً يعكس تقييد الفرد داخل بُنية المجتمع القبلي، قال العُجَير في ذلك: (الدليمي، 1979، صفحة 225)

ألمّا على دارٍ لزينبَ قد أتى لها بِلِوى ذي المرخ صيفٌ وَمَرْبَعُ
وقولا لها قد طالما لَمْ تكلمي وأَرعاكِ بالعَينِ الفؤادُ المروَّعُ
وَقولا لها قالَ العُجَيرُ وَخَصَّني إليكِ وإرسالُ الخَليلَيْنِ يَنْفَعُ
أأنت التي استودعتُكِ السّرَّ فاتنحى ليَ الخونُ مَراحٌ من القَومِ أفْرَعُ
إذا مُتُّ كانَ الناسُ نصفَينِ شامِتٌ وآخرُ مُثنٍ بالذي كنتُ أَصنَعُ
ولكن ستبكيني خُطوبٌ وَمَجْلِسٌ وشُعْثٌ أُهينوا في المجالِسِ جُوَّع

الأبيات تصوّر تجربة الفقد من خلال الحزن، واللوم، والخيانة، والحنين، وتكشف عن أنساق ثقافية تعزز قيم الوفاء، وتظهر خيانة السّرّ كجريمة رمزية، وتحيل إلى قلق الشاعر من العزلة الاجتماعية بعد فقدان الحبيبة.

كما ويرتبط "الحبّ بالغياب والانمحاء الوجودي، فالمُحبّ غائب عن نفسه وما حوله، فهو يحيا بذكر وحبّ محبوبه فقط" (راهي و الأسدي، 2016، صفحة 91) لذا نجد أنّ الفقد العاطفي يتجلى أيضاً في شعور الشاعر بالعجز أمام قرار الهجر، فهو يتمنى فقط لو وقع في ظروف أُخرى، لكنّه لا يملك سوى التأقلم معه. قال العُجَير: (الدليمي، 1979، صفحة 226)

لَقَدْ آذنت بالهجرِ هيفاءَ لَيْتَها بهِ آذنتنا والفُؤادُ جَميعُ
وإنيّ وإنْ واجَهْنَ شيئاً كَرِهْنَه لكالسَّيفِ يُبلي الجَفْنَ وَهْوَ قطوعُ

تعكس الأبيات تجربة وجدانية موجعة، لكنّها تُقدَّم ضمن أطر ثقافية تُعلي من شأن القوة الذكورية والاستسلام للقدر العاطفي. الفقد هنا ليس مجرد انفصال؛ بل هو صراع بين الضعف الإنساني والفخر الذاتي، بين الألم والرغبة في الظهور بمظهر الصلابة. وهناك تباين بين الألم النفسي الذي يُعبّر عنه في البيت الأول، والقناع الزائف للقوة الذي يرتديه في البيت الثاني؛ ممّا يعكس الصراع الداخلي بين الحزن والاعتزاز بالنفس.

الخاتمة:

1. مثل شعر العجير السلولي مرآة عاكسة للمنظومة الثقافية لقيم المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ جاء نصّه محمّلاً بتمثلات إنسانية تتراوح بين الأخلاقي والعاطفي، بما يشي بوعي فردي متقدّم إزاء محيط اجتماعي صارم.

2. في المبحث الأول، كشفت الدراسة عن الأبعاد الأخلاقية التي تجذّرت في شعره، مثل الكرم والجود، والعدالة التي تمثلت في إنصاف المظلوم، والتضامن الاجتماعي الذي يدل على وعي جمعي تشاركي، كلّها ظهرت بوصفها قيماً ثقافية محمّلة بالدلالة والرمز.

3. أما المبحث الثاني، فقد تناول الأبعاد العاطفية، ولاسيما في قصائده التي تلامس تجربة الحب والفقد، إذ جاء الحنين موجعًا ومضمرًا، لاسيما في سياق زواج ابنة عمه من غيره، ممّا فتح أفقاً لتأويل النص كخطاب مقاومة للسلطة القبلية التي صادرت حرية الاختيار.

4. اعتمدت الدراسة منهج النقد الثقافي في تفكيك النصوص الشعرية، للكشف عن البُنى الثقافية المضمرة، فظهر شعر العجير ليس كحالة وجدانية فقط، بل كخطاب يتنازع فيه الفرد مع المؤسسة الاجتماعية من جهة، ويتماهى معها حيناً آخر من جهة ثانية.

5. وبهذا، فإنّ شعر العجير السلولي يمثل تجربة إنسانية متكاملة، تُضيء تفاعلات الفرد مع مجتمعه، وتعكس وعياً متقدماً بالقيم والمعاني الكبرى، لتغدو قصائده سجلاً ثقافياً وأخلاقياً وعاطفياً يُعيد تشكيل صورة الإنسان العربي في مرآة الشعر.

المراجع

أ خلاف بوحالة. (4 2, 2020). البعد الأخلاقي في شعر عروة بن الورد. مجلة اللغة العربية، العدد *50*، صفحة 127.

أ.د بدران عبدالحسين البياتي. (2024). التعاطف في شعر البياتي. مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الإنسانية(المجلد 19)، صفحة 1.

أ.م.د سامي جاسم محمد. (2020). التهميش في الشعر الجاهلي. مجلة جامعة كركوك / للدراسات الإنسانية(العدد 1)، صفحة 45.

أ.م.د. الطاهر الجزيري. (2022). سيميوطيقا الألم في حوار الشخصيات في رواية "الحفيدة الأمريكية" لإنعام كجه جي. مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الإنسانية(المجلد 17)، صفحة 1.

أ.م.د. حمد محمد الياس. (30 6, 2022). حركية الصورة في شعر ابن وكيع التنيسيّ (ت 393 هـ). مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الإنسانية(مجلد 17)، صفحة 3.

ابن عبد ربه. (1983). العقد الفريد (المجلد 1). (مفيد محمد قميحة، المحرر) بيروت: دار الكتب العلميّة.

ابو الفرج الأصفهاني. (بلا تاريخ). الأغاني.

ابو الفرج علي بن محمد الأصفهاني. (1956). الأغاني. دار الثقافة.

ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. (1989). تهذيب الأخلاق. طنطا / مصر: دار الصحابة للنشر والتوزيع.

ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (1955). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المحرر) القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

ابو هلال العسكري. (د. ت). الفروق اللغوية (المجلد د. ط). (تحقيق إبراهيم سليم، المحرر) القاهرة: دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع.

الدكتور علي هادي حسن حسين. (2022). قراءة سيميائية لقصيدة "الخيلية" للشاعر الضرير راشد الحبسي. مجلة جامعة كركوك/ للدراسات الإنسانية(المجلد 17)، صفحة 22.

الدكتور ياسر علي عبد. (31 12, 2009). الحس الإنساني وبواعثه في شعر مهيار الديلمي. مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد، صفحة 387.

الدليمي محمد نايف. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 232.

حسني عبدالجليل يوسف. (2001). الأدب الجاهلي.قضايا وفنون ونصوص (المجلد 1). القاهرة: مؤسسة المختار.

د. إسراء طارق كامل. (2016). القيم الاجتماعية والاخلاقية في شعر مالك بن الريب دراسة تحليلية نقدية. مجلة الآداب / جامعة القادسية، صفحة 310.

د. إسراء طارق كامل. (2016). القيم الاجتماعية والأخلاقية في شعر مالك بن الريب دراسة تحليلية نقدية. مجلة الآداب(العدد 217)، صفحة 310.

د. فارس ياسين الحمداني. (2018). الطبيعة في شعر ابن الساعاتي (604 هـ). مجلة آداب الرافدين / جامعة الموصل، صفحة 1.

د. محمد اقبال و د. حافظ أحمد علي. (يناير إلى ديسمبر, 2021). الأبعاد الأخلاقية في شعر ابي فراس الحمداني. مجلة العلوم العربية(العدد 9)، صفحة 49.

د. محمد إقبال، و د. حافظ أحمد علي. (من يناير إلى ديسمبر, 2021). الأبعاد الأخلاقية في شعر أبي فراس الحمداني. مجلة العلوم العربية، صفحة 49.

سعاد السيد محجوب. (30 ديسمبر, 2022). من القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي: دراسة موضوعية. مجلة اللغة العربية وآدابها(المجلد 1)، صفحة 23.

صالح مفقودة. (2001). القيم الأخلاقيّة من خلال الشعر الجاهلي. مجلة العلوم الإنسانية/ جامعة محمد خيضر، صفحة 184.

عبد القادر بن عمر البغدادي. (1986). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. مكتبة الخانجي.

عبد المجيد فرج علي لبز. (2023). القيم الأخلاقية في شعر لسان الدين بن الخطيب / رسالة ماجستير. طرابلس: كلية اللغات / جامعة طرابلس.

علي بن محمد ابو الفرج الأصفهاني. (1956). الأغاني. دار الثقافة.

م.د جاسم عبد الواحد راهي، و مسلم مالك الأسدي. (2016). الموت عند شعراء الغزل في العصر الأموي. مجلة آداب المستنصرية، صفحة 91.

محمد بن سلام الجمحي. (1980). طبقات فحول الشعراء. مطبعة المدني.

محمد عابد الجابر. (2001). العقل الأخلاقي العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية) (المجلد 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد نايف الدليمي. (بلا تاريخ).
محمد نايف الدليمي . (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، الصفحات 212 - 213.
محمد نايف الدليمي . (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السّلولي. مجلة المورد العراقية التراثية ، الصفحات 217 - 218.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 212.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 212.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 232.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، الصفحات 22 - 223.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 223.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العُجير السلولي. مجلة المورد، صفحة 212.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العُجَير السلولي. المورد، صفحة 212.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، الصفحات 207 - 234.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعر العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، صفحة 232.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، صفحة 210.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، صفحة 225.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السّلولي. مجلة المورد، صفحة 215.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شعرُ العُجَير السّلولي. مجلة المورد، صفحة 232.
محمد نايف الدليمي. (1 2, 1979). شِعرُ العُجَير السَّلولي. مجلة المورد، صفحة 226.
محمد نايف الدليمي. (بلا تاريخ). ممم.